ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة المجتمع والرياضة
Society and Sports Journal
ISSN: 2602-7992 EISSN: 2710-8384
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/493
المجلد: 4 العدد: 2 (جوان2021) ص322/313

نقد التصور السوسيولوجي للقيم الاجتماعية

A critique of the sociological perception of social values.

فوزي لوحيدي[1]*

[1] جامعة الوادي (الجزائر)، faouzilouhidi@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2020/12/13؛ **تاريخ القبول:** 2021/06/02؛ **تاريخ النشر:** 2021/06/30

ملخص: سنحاول في هذا المقالة أن نقدم تعريفا للقيم الاجتماعية ونتعرف على علاقتها مع المفاهيم المقاربة كما سنحاول أن نتطرق الى مجهودات السوسيولوجيين وإسهاماتهم في إثراء موضوع القيم ، وذلك من خلال الاستقصاء على طريقتين ، الأولى تعتمد على طرح رأي الاتجاهين البارزين في علم الاجتماع ، والطريقة الثانية هي محاولة تتبع أراء بعض العلماء على حدى ،ثم حاولنا تقديم نقد لإسهامات السوسيولوجيين في دراسة القيم ، لنختم الدراسة بخاتمة تحوصل الموضوع

كلمات مفتاحية: القيم– القيم الاجتماعية – علم الاجتماع

Abstract: In this article, we will try to présent a presentation that provides a definition of social values and learn about their relationship with approaching concepts. We will also try to address the efforts of sociologists and their contributions to enrich the issue of values, through two methods of investigation. The first is to present an opinion that makes prominent people in sociology, and the second method is an attempt. Evaluate the evaluation of the study with a conclusion reached the topic.

Key words: values, social values ,sociologists

* المؤلف المرسل.

مقدمة

ارتبطت محاولات تعريف القيم عند علماء الاجتماع بنشأة هذا العلم الذي تأثر بالفلسفة مما أدى إلى صوغها في مفهومات مجردة، حيث يتناول علماء الاجتماع القيم من منظور تكاملي، فبجانب أنها موجهة للسلوك عند أفراد فإنها مصادر ثابتة ومستقرة للتباين في الأنساق الاجتماعية أو على الأقل كما ذهب (**وايت مور**)إلى أنها تتبع أحيانا عوائق هائلة لقبول أي مخترعات حديثة تؤدي إلى أشكال جديدة للنشاط الاقتصادي لا تتماشى مع قيم المجتمع.

إن القيم تعتبر عضوا مشتركا في تركيب البناء الاجتماعي ويرى علماء الاجتماع أن القيم من صنع المجتمع وأنها تعبر عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع ويحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أن يحللها ويقارن بين الجماعات المختلفة لذلك فقد طرحت قضية سوسيولوجية للقيم كإحدى المحاور الرئيسية التي انشغل بدراستها العديد من الباحثين الاجتماعيين، بحيث تجسد ذلك في كتابات العديد من علماء الاجتماع المحدثين والمعاصرين، إيمانا منهم بأنه توجد علاقة وظيفية بين القيم وسائر الظواهر الاجتماعية السائدة داخل البناء الاجتماعي للمجتمع، و بالرغم من وحدة المنظور لدى هؤلاء العلماء في معالجتهم للقيم، إلا أنهم يختلفون في تفسير طبيعتها وأسباب تغيرها[1]، وعلى الرغم من الأهمية التي تحتلها القيم عند علماء الاجتماع إلا إننا نجد أن عددا كبيرا منهم ولمدة جيل أو قريب من ذلك قد عزف عن دراسة القيم، وذلك بغية الوصول إلى مستويات عليا من الموضوعية والدقة العلمية، حيث كان ينظر إلى القيم على أنها في أغلب الأحيان تتسم نوعا ما بالذاتية، ومما يدعم هذا التعليل لإهمال دراسة القيم من جانب علماء الاجتماع ما قاله (**ليفي ستراوش**) في معرض كلامه عن القيم في دراسة الثقافات المختلفة :" إنه إذا كان قد بدا من العلوم الاجتماعية شيء من العزوف أو التردد أو التحقير أو التباطؤ في معالجة القيم ذلك في أنه لما نتكلم عن العواطف والانفعالات والظواهر غير المنطقية .

وبما أن مهمة أي علم أن يعبر عن الظواهر بأسلوب منطقي فإننا نخشى أن يفضي الكلام علميا عن القيم إلى التناقض الحادث من تفسير البيانات غير المنطقية بعبارات منطقية، فإن هذا من شأنه أن يهدم هذه البيانات ويشوه طبيعة القيم "[2].

لكن على الرغم من هذا الغموض فإن علماء الاجتماع بحكم منهجهم العلمي مضطرون إلى دراسة القيم، كما تبدوا في مجتمع بشري في مكان معين وزمن محدد يخضع الظروف بعينها، وبالتالي فان القيم تتطور عندهم بتطور المجتمع الذي توجد فيه، فهي بذلك تُكون قَطعا نسبية متغيرة[3].

ومن خلال ما سبق سنحاول في هذه المقالة أن نجيب على عدة تساؤلات تشغل بال الكثير من الباحثين في مجال علم الاجتماع عامة والباحثين في مجال القيم الاجتماعية خاصة ، وتنطلق هذه التساؤلات من تساؤل رئيسي مفاده :

ما مدى اقتراب التعريفات التي قدمها علماء الاجتماع لمفهوم القيم من واقعه الاجتماعي ؟

وتتفرع عنه ثلاثة أسئلة فرعية:

1) كيف يمكننا أن نفرق بين القيم الاجتماعية والمفاهيم المقاربة لها ؟
2) ما هي إسهامات علماء الاجتماع في تحديد مفهوم القيم الاجتماعية ؟
3) ما هو النقد الذي يمكن أن نقدمه لعلماء الاجتماع في هذا المجال ؟

2) مفهوم القيمة والمفاهيم المقاربة لها

1.2) مفهوم القيمة

1.1.2) **لغويا** وردت القيمة بمعان متعددة في اشتقاقاتها، أشار إليه إبن منظور في لسان العرب، إذ ترجع إلى الفعل قوم وأدرج منها العديد من المعاني نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، محاولين أن نأخذ ما يقرب من المعنى الذي نحاول أن ندرسه في موضوعنا :

التقدير : ودينار قائم إذا كان مثقالا سواء لا يرجح، وهو عند الصيارفة ناقص حتى يرجح بشيء فيسمى ميالا، والجمع قوم وقيم وقوم السلعة واستقامها قدرها حدد لنا قيمتها .

الاستمساك بالدين : الثبات على الشيء، وفي الحديث أن حكيم بن حزام قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أخر إلا قائما قال له النبي صلى الله عليه وسلم **أما من قبلنا فلا تخر إلا قائما** .

والمتتبع لما سبق يدرك أن مادة قوم التي يشكل منها المصطلح الذي نحن بصدد دراسته تدور حول مصدر القيمة ومسلكها وامتدادها وأثرها وصفاتها، فالمصدر هو الله القيوم والمسلك طريق مستقيم لا عوج فيه، والامتداد في الحياة والكون كله، والأثر في الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض والذي ميزه بحسن التركيب وحسن التعديل في الهيئة، وأمره بحسن التدبير والتسيير في التعامل مع المخلوقات المسخرة له عبادة وطاعة للخالق و صفات الثبات والدوام الإطلاق، وعدم التغيير التي تكسبها القيم التي زرعها الله في الإنسان حين نفخ فيه روحه[4].

2.1.2) اصطلاحيا

تنوعت مفاهيم القيم عند المفكرين ويمكن تحديد وجهات نظرهم على النحو الآتي :

أولا : حالة وجدانية : يمكن تعرفها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوكيات العملية، و تدفع الحالة الوجدانية والعقلية صاحبها إلى أن يصطفي بإرادة حرة واعية و بصورة متكررة نشاطا إنسانيا يتسق فيه الفكر والقول والفعل، يرجعه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه ويسعد به ويحتمل فيه ومن أجله ما لا يحتمله في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية .

ثانيا :مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يشعر بها الفرد من انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولا من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد السلوكية .

ثالثا : هي حكم يصدره الفرد على شيء ما مهتديا بمعايير اجتماعية تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه، أما في الإسلام فهي حكم يصدره الإنسان المسلم عن شيء ما مهتديا بمعايير شرعية تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من منطلق القرآن والسنة، ومن هنا فإن العقيدة الإسلامية منبع القيم وهي ثابتة بثباتها، أما في الغرب فهي مرتبطة بالواقع ومتغيرة بتغيره .

رابعا تعرف بأنها معيار الحكم على الأشياء، أو نمط من أنماط الحياة وقد تكون مفهوما واسعا أو اعتقادا قويا أو ضعيفا، هدفا أو وسيلة، صفة شخصية أو ميزة اجتماعية، طريقة في التفكير أو ممارسة وعملا وتطبيقيا، وقد تكون القيمة طريقة تنظيمية أو إدارية موقفا ومبدأ يتقبله الفرد ويتمسك به المجتمع، والقيمة قد تكون مرغوبا فيها أو مرغوبا عنها أو ما شابه ذلك .

إذا فإن القيم الاجتماعية هي حالة وجدانية تنمو من خلال المعتقدات والاتجاهات التي يتبناها الفرد والمجتمع، تؤدي إلى إنتاج مجموعة من الأحكام والمعايير المتصلة بمضامين واقعية يشعر بها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع الآخرين، وهذه الأحكام يصدرها الفرد مهتديا بمعايير اجتماعية تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه، بحيث تحدد نمط حياته وطريقة تفكيره، وتكون طريقة تنظيمية تحدد المبدأ الذي يتقبله الفرد ويتمسك به المجتمع .

2.2) القيم والمفاهيم المقاربة لها :

1.2.2) القيم والاتجاهات : الاتجاه يعرف على أنه ميل بالموافقة أو الرفض إزاء موضوع ما أو موضوعات معينة، حيث يمكن التعرف على اتجاه الفرد إزاء هذا الموضوع من خلال سلوكه قولا كان أم فعلا، وفي تفسير علاقة القيم بالاتجاهات تعددت الآراء:

الاتجاه الأول :والذي يساوي فيه العلماء بين القيم والاتجاهات فالقيم اتجاهات مشتركة من حيث أنها اتساق لقواعد معيارية أو مثل أخلاقية تلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعية فيشير **(فرايز)** إلى أن القيم ما هي إلا مجموعة اتجاهات اجتماعية تمثل في شكلها النهائي أحد المظاهر الذاتية للقيم، بينما يرى آخرون أن القيم بؤرة لتجمع الاتجاهات، حيث يرى أنها ـأي القيم ـ مجموعة اتجاهات شاملة تتجمع حول مركز محوري هذا المحور هو القيم .

الاتجاه الثاني : يتمثل هذا الاتجاه في أنه يميز بين القيم والاتجاهات : فيميز **(سارجنت)** بين القيم والاتجاهات، حيث يشير إلى أن الاتجاه ما هو إلا ميل سلوك من الفرد لاستجابة موجبة كانت أم سالبة نحو موضوع معين، أي أن الاتجاه ما هو إلا موقف تجاه واحدة من القيم، وعلى هذا فالقيم ما هي إلا أمور تتجه نحوها اتجاهات الفرد وفي جماع الآراء أخرى نخلص إلى أن القيم أكثر عمومية وشمولا وأقل عددا من الاتجاهات، ولأنها كذلك فهي قادرة على تفسير تلك الاتجاهات .

وعلى هذا فان هناك فروقا بين القيم والاتجاهات والجدول التالي يبين هذه الفروق :

جدول رقم (01) يبين الفروق بين القيم والاتجاهات .

نقطة المقاربة	القيم	الاتجاهات
الماهية	تمثل القيم تلك الأمور التي تتجه نحوها اتجاهات الفرد.	تعبر عن ميل سواء بالموافقة أو الرفض تجاه موضوع معين .
دور المجتمع في الإقرار	تتطلب القيم موافقة من قبل المجتمع لإقرارها .	لا تتطلب الاتجاهات موافقة اجتماعية من قبل المجتمع لإقرارها.
الاكتساب	تكتسب القيم ببطء وعلى مدى الحياة وذلك لحاجتها إلى خبرات ومعارف متراكمة .	تنبثق الاتجاهات من أهداف المجتمع قيم المجتمع، النظام الثقافي للمجتمع.
التجريد والعمومية	تتميز القيم بالتجريد والعمومية كما أنها أكثر ثباتا إذ أنه من الصعب تغييرها .	الاتجاهات أقل تجريدا وأقل ثباتا إذ يسهل تغيير اتجاهات الفرد كما أنها تتغير بالخصوصية .

و بتحليل الاتجاهين السابقين يمكن أن نخلص إلى ما يأتي :

على الرغم من أنه يتضح للوهلة الأولى أن هناك اختلافا واضحا بين الاتجاهين السابقين إلا أنه يمكن أن نلمس تكاملا واضحا فيما بينهما :

فمعنى قيام الفرد باستجابة سلبية كانت إزاء موضوع ما أو موقف معين، والمتفق عليها باعتبارها**(اتجاه)** وحين أن استجابة الفرد لا يمكن أن تأتي بصورة عشوائية فهذا يعني أن الفرد قد استند في استجابته تلك لعدة أشياء تأتي في مقدمتها :الإطار المرجعي لخبرة الفرد، الإطار القيمي للمجتمع وأخيرا النسق القيمي الخاص بالفرد، وبالتحديد هرم الفرد القيمي فتلك الأشياء هي التي تساهم في توجيه الفرد لاتخاذ قرار ما في موضوع ما و بصورة ما يتلاءم مع النسق القيمي للفرد والمجتمع، وبما يحقق التوازن الاجتماعي والنفسي لهذا الفرد في إطار مجتمعه[5].

2.2.2) القيم باعتبارها معايير : يعرف المعيار على أنه تكوين فرضي معناه ميزان أو قاعدة أو إطار مرجعي للخبرة والسلوك الاجتماعي كما أن المعيار يمثل أحد السلوكيات النموذجية أو المثالية والتي يقاس عليها تصرفات الأفراد في المواقف المختلفة إذ يتكون هذا السلوك المعياري من خلال التفاعلات الشخصية للأفراد بعضهم مع بعض، حيث يتعرفون على أدوارهم، ومن ثم يحددون تصرفاتهم ليسهل بذلك تعاملهم داخل إطار المجتمع .

وبهذا فإذا كان المعيار سلوكيا نموذجيا متكررا يحضى بقبول اجتماعي، ويعمل بمثابة إطار مرجعي مشترك للحكم على السلوك وتصرفات الأفراد داخل المجتمع، فإن القيم كما يشير **(بارسونز)** ما هي إلا عنصر في نسق رمزي مقبول من المجتمع يؤدي وظيفته باعتباره

معيارا أو قاعدة للاختيار بين المتقابلات من موقف ما، إذ تتصل من قريب بالمستويات الخلفية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد ويقيم منها موازينه التي يزن بها أفعاله، ليصنع بذلك حدودا بينه وبين كل سلوك لا تقبله الجماعة .

هذا ويلخص (**روكيتش**) الفروق بين القيم والمعايير فيما يلي :

تشير القيم إلى منحى سلوكي يتجه نحو غاية أو مثل عليا، بينما يشير المعيار إلى منحى سلوكي نوعي، فالقيم تعلو فوق المواقف النوعية، وعلى هذا فإذا كان النظام قيمة يحترمها المجتمع ويعلي من شأنها، فإن التزام الجماعة بإتباع ترتيب معين في موقف ما يعد معيارا .

القيم أكثر تجريدا من المعايير إذ تكتسب مشروعيتها بشكل اتفاقي يكاد يكون مستقلا عن الفرد .

3.2.2) القيم سلوك مرغوب : وقد تعددت آراء المفكرين هنا حول القيم باعتبارها سلوكا مرغوبا، فالبعض يشير إلى أن القيم مفاهيم مرغوبة تعني ببساطة ما يتجنب أو ما ينبغي وتسهم في توجيه الفرد خلال المواقف المختلفة، فالقيم هي التي تؤثر في سلوكه ومن ثم فإنها توجه أهدافه .

وعلى الرغم من أن القيم وفق هذا المعنى تشير لمجموعة الصفات الشخصية التي يجب أن تتوافر لدى الفرد، التي يفضلها أو يرغب فيها الأفراد في ثقافة معينة، إلا أنها كما يشير (**دوركايم**) مثلها مثل كافة الظواهر الاجتماعية مجتمعية الصنع، بمعنى أن لها قوة الإلزام رغم أنها أمور مرغوب فيها.

القيم باعتبارها تصورات حول موضوع مرغوب فيه سواء أكان هذا الموضوع نسق اجتماعي أم نسق شخصية، حيث تتصف تلك التصورات بالعمومية كما أنها تلقى قبولا من جانب الأفراد في ظل الثقافة والمجتمع الواحد .

القيم باعتبارها تقييم ومنفعة: يعود الفضل في هذا للاقتصاديين، حيث أنهم أول من استخدم مفهوم القيم بمعناه الفني والذي يشير للتقييم والمنفعة، فالقيمة والتقييم من أهم المصطلحات التي بنيت عليها نظرية القيمة théorie of value والتي يتضمنها ذلك الفرع الهام في علم الاقتصاد والمسمى علم الاقتصاد السياسي.

والاهتمام الرئيسي بالقيم هنا هو اهتمام بالدور الذي تلعبه في تثمين الأشياء، ومن ثم تحقيق المنفعة للفرد وفي هذا يشير (**ديوي Dewey**)إلى أن القيم هي تفريد للشيء وإعطائه مكانته في المرتبة الأولى، قيم استعماليه ثم وضع قيمة له أي تثمينه في المرتبة الثانية ويطلق عليها قيم تبادلية، فالأولى تعني الحرص على الشيء والاعتزاز به والثانية تعني الحكم على طبيعة ومقدار هذا الشيء إذا ما تمت مقارنته بشيء آخر، وبهذا تعني القيمة في مختلف المناقشات الاقتصادية ما هو مرغوب ويؤدي إلى منفعة .

4.2.2) القيم اعتقاد : يعرف الاعتقاد belife على أنه حكم صادق يتسم بالواقعية ويؤسس على الملاحظة الإمبريقية والمنطق ويقبله الفرد باعتباره صحيحا .

ويشير (**روكيشrakish**) إلى أن القيمة هي عبارة عن اعتقاد ثابت لدى الفرد بأفضلية نموذج سلوكي معين أو غاية من غايات الوجود على المستوى الشخصي حدد ذلك الاعتقاد بالسلوك أو الغايات وبناء على هذا التعريف قام بتقسيم القيم إلى

أ) قيم نهائية terminalأي غايات في حد ذاتها .

ب) قيم وسطية instrumental أي سلوكيات تؤدي إلى غايات حيث تتضمن تلك القيم مثلها في ذلك مثل الاعتقاد جوانب معرفية ووجدانية وسلوكية، لكونها تعبر تمثيلات رمزية ومعرفية لحاجات الفرد، وفي الأخير يتضح من خلال استقرار مختلف التعريفات التي عالجت مفهوم القيم أن هناك رؤى ووجهات نظر متعددة في تعريف هذا المفهوم جاءت جميعها لتمثل أُطرا مرجعية وخلفيات علمية متعددة يمكن إرجاعها لتلك الطبيعة الخاصة بهذا المفهوم والمتغير في ذات الوقت، إلا أننا يمكن أن نخرج بعدد من المؤشرات حول هذا المفهوم .

تشير القيم إلى غايات ومثل عليا كما أنها أحد عناصر النسق الاجتماعي والتي تؤدي وظيفتها معيارا للحكم على سلوك الأفراد .

5.2.2) القيم مفاهيم على الرغم من الإشارة للقيم في بعض الأدبيات باعتبارها مصطلح إلا أنه لا يتوافر في مفهوم القيم تلك الشروط التي تؤهلها لكي تكون مصطلحا توجد ذلك التعريف الجامع المانع للقيم المأخوذ به في كافة المجتمعات إلى الآن، ويمكن إرجاع ذلك لطبيعة هذا المفهوم والذي فُرض عليه أن يكون مرتبطا بالسياق المجتمعي ومن ثم كانت وجهات النظر المتعددة في تعريفه[6].

3) القيم عند علماء الاجتماع:

ارتبطت محاولات تعريف القيم عند علماء الاجتماع بنشأة هذا العلم الذي تأثر بالفلسفة مما أدى إلى صوغها في مفهومات مجردة، حيث يتناول علماء الاجتماع القيم من منظور تكاملي، فبجانب أنها موجهة للسلوك عند أفراد فإنها مصادر ثابتة ومستقرة للتباين في الأنساق الاجتماعية أو على الأقل كما ذهب **(وايت مور)**إلى أنها تتبع أحيانا عوائق هائلة لقبول أي مخترعات حديثة تؤدي إلى أشكال جديدة للنشاط الاقتصادي لا تتماشى مع قيم المجتمع[7].

إن القيم تعتبر عضوا مشتركا في تركيب البناء الاجتماعي ويرى علماء الاجتماع أن القيم من صنع المجتمع وأنها تعبر عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع ويحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أن يحللها ويقارن بين الجماعات المختلفة لذلك فقد طرحت قضية سوسيولوجية للقيم كإحدى المحاور الرئيسية التي انشغل بدراستها العديد من الباحثين الاجتماعيين، بحيث تجسد ذلك في كتابات العديد من علماء الاجتماع المحدثين والمعاصرين، إيمانا منهم بأنه توجد علاقة وظيفية بين القيم وسائر الظواهر الاجتماعية السائدة داخل البناء الاجتماعي للمجتمع، و بالرغم من وحدة المنظور لدى هؤلاء العلماء في معالجتهم للقيم، إلا أنهم يختلفون في تفسير طبيعتها وأسباب تغيرها[8]، وعلى الرغم من الأهمية التي تحتلها القيم عند علماء الاجتماع إلا إننا نجد أن عددا كبيرا منهم ولمدة جيل أو قريب من ذلك قد عزف عن دراسة القيم، وذلك بغية الوصول إلى مستويات عليا من الموضوعية والدقة العلمية، حيث كان ينظر إلى القيم على أنها في أغلب الأحيان تتسم نوعا ما بالذاتية، ومما يدعم هذا التعليل لإهمال دراسة القيم من جانب علماء الاجتماع ما قاله **(ليفي ستراوش)** في معرض كلامه عن القيم في دراسة الثقافات المختلفة :" إنه إذا كان قد بدا من العلوم الاجتماعية شيء من العزوف أو التردد أو التحقير أو التباطؤ في معالجة القيم ذلك في أنه لما نتكلم عن العواطف والانفعالات والظواهر غير المنطقية .

وبما أن مهمة أي علم أن يعبر عن الظواهر بأسلوب منطقي فإننا نخشى أن يفضي الكلام علميا عن القيم إلى التناقض الحادث من تفسير البيانات غير المنطقية بعبارات منطقية، فإن هذا من شأنه أن يهدم هذه البيانات ويشوه طبيعة القيم "[9].

لكن على الرغم من هذا الغموض فإن علماء الاجتماع بحكم منهجهم العلمي مضطرون إلى دراسة القيم، كما تبدوا في مجتمع بشري في مكان معين وزمن محدد يخضع الظروف بعينها، وبالتالي فان القيم تتطور عندهم بتطور المجتمع الذي توجد فيه، فهي بذلك تُكون قَطعا نسبية متغيرة[10].

ولم يتجرأ أحد من علماء الاجتماع على استخدام مفهوم القيم إلا بعد أن ظهرت دراسة **(وليام توماس وفلوريان زينانيكي)** حول الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا سنة 1918 . ومنذ ذلك الوقت أصبح علماء الاجتماع يستخدمون مفهوم القيم استخداما متزايدا وسرعان ما أصبحت القيم تمثل موضوعا من الموضوعات التي يهتم بها علماء الاجتماع إلى درجة أن صاغوا العديد من النظريات السوسيولوجية حولها، واعتبروها محددا من محددات السلوك ومفتاح فهم الثقافة الإنسانية[11] . لذلك ظهرت على مسرح الفكر الاجتماعي العديد من الاتجاهات الفرعية تنطوي تحت لواء المنظور السوسيولوجي محاولة تفسير القيم من حيث نشأتها ومصادرها واكتسابها وعلاقاتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى[12].

وإليك عرضا من الاتجاهات السوسيولوجية التي درست القيم :

1.3) الاتجاه الماركسي : يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القيم والحقائق واقعية توجد في إطار اجتماعي واقتصادي، فهي ترتبط بحياتنا العلمية ارتباطا وثيقا، وينطلق مفكروا هذا الاتجاه وتفسيرهم للحياة الاجتماعية من منطلق أن التاريخ تتحكم في مسيرته قوانين موضوعية لا تخضع لإرادة الأفراد والجماعات، كما يعد البناء الاقتصادي للمجتمع هو المصدر الأساسي للقيم لأنها تتشكل وتتطور بتطور النسق

الاقتصادي، وذلك لوجود رابطة وثيقة بين البناء التحتي والبناء الفوقي، والبناء التحتي يؤدي حتما لحدوث تغيرات في البناء الفوقي، وبالتالي فالقيم باعتبارها إحدى مكوناته، كما يؤول البناء الفوقي بدوره لحدوث تأثيرات في علاقة الإنتاج سواء كان هذا التأثير إيجابي فيسرع هذا البناء والعكس[13] .

فمنذ قرن تقريبا اعتقد(**كارل ماركس**) أن التغيرات في إنتاج التكنولوجيا صنع تغيراتها الملازمة في مجال العلاقات الصيغية تعدد التغيرات في العناصر الأخرى للمجتمع، ويؤكد **ماركس** أن التغيير الاجتماعي يبدأ بصراع جماعات المصلحة بالرغم من قوة الصفوة الحالية التي تقاوم التغيير بمفهومه القيمي، والناس يقبلون مبدأ التغير عندما يصبحون واعيين بأن مصالحهم الخاصة استغلت في بناء النظام الاجتماعي نفسه ويذهب **ماركس** إلى أن كل القيم النظامية ما هي إلا قيم الطبقة الحاكمة[14]، كما كشف هذا الاتجاه على حقيقة مؤداها أن القيمة نسبية ذات طبيعة دينامكية متطورة متغيرة بتغير الأوضاع الاقتصادية ومختلفة باختلاف المراحل التطورية التي يمر بها المجتمع، كما أنها تتباين بتباين الوضع والظروف المادية للطبقة المكونة للبناء الطبقي للمجتمع، لذا فالقيم الإنسانية المطلقة لا يمكن أن توجد في مجتمع يتسم بالصراع بين الطبقات لكنها سوف توجد حينما تزول الملكية ويزول معها استغلال الإنسان للإنسان وهذا لا يكون إلا بتحقيق الشيوعية تحقيقا كاملا

ويرى **سوركين** أن القيم تحدد من خلال مؤشر التغير الاجتماعي والثقافي في تاريخ الإنسانية ويعبر عن التفاعل على أساس أنه ظاهرة اجتماعية ثقافية تتكون من الشخصية والمجتمع والثقافة[15] .

وخلاصة القول أن القيم عند أصحاب هذا الاتجاه ترتبط بأشياء واقعية لها وجود ملموس خارج ذاتنا، وبالتالي فهي صفات للموضوعات المادية وظواهر الشعور الاجتماعي[16].

ومما يأخذ على هذا الاتجاه أنه ركز بصورة كبيرة على المادية الاقتصادية وذلك عن طريق تأكيد نسق القيم متغير مستقل في التغيير الاجتماعي، وركز على أن القيم والدين والأفكار ما هي إلا انعكاسات لواقع الطبقة، وأن المصالح الطبقية لا يمكن أن تفهم بعيدا عن مفهوم الطبقة للدين والايدولوجيا ونسقها القيمي .

3ـ2) الاتجاه الوظيفي : هذا الاتجاه يوجه مصدر القيم إلى بناء علوي ومفاهيم عينية ووظيفة القيم تبدو مثلا معيارية على المجتمع أن يحققها، وبذلك يكون منطلق هذا الاتجاه ومصدرها هذا البناء العلوي بالرغم من أن مصدر القيم يمكن إرجاعه إلى دين وثقافة المجتمع[17]، يستند هذا الاتجاه على التطور العضوي للمجتمع هادفا إلى الكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق تكامل النسق ككل مما يؤدي إلى تكيف هذه الأجزاء مع المؤشرات الداخلية والخارجية وضرورة توفير أساليب الضبط لإعادة التوازن[18]، ولو تفحصنا مدارس علم الاجتماع الوظيفي لوجدنا ظهور القيمة ضمنيا أو صراحة في كافة هذا المدارس وخاصة عند دوركايم الذي حدد مكونات الظاهرة بأنها نظم اجتماعية لها صفة الضغط والإجبار، كما تتكون من الرموز والقيم والأفكار والمثل، كما يؤكد على مفهوم الضمير الجمعي في تحديد الضبط الاجتماعي[19]،ويرى (**دوركايم**) من هذا المنطلق أن الإنسان الذي ينتمي إلى مجتمع لا يدرك نفسه ولا الآخرين إلا بتوسط التصورات المشتركة التي ترجع في كيانه إلى جانب من الوجدان الجمعي، وليست القيم إلا تعبيرا عن رغبات الأفراد في أراء المجتمع الذي ينتمون إليه، ويذهب (**دوركايم**) كذلك إلى القول بأن القيم موجودة وجودا خارجيا عن الشخص الذي يصدر أحكام القيمة، فهي تتصف بصفة مستقلة عن كيفية الإحساس بها لحظة الحكم وهي تطابق نوعا من الحقائق الموضوعية والموجودة خارج الذات لقد رفض دوركايم الرأي القائل بوجود القيمة في الموضوع ذاته، مستدلا بعدم وجود أي تناسب بين خصائص الأشياء من جهة وقيمتها من جهة أخرى، مؤكدا أن جميع القيم تقدير للأشياء، إن القيم الموجودة في المجتمع في نظر (**دوركايم**) تعبير عن نماذج مختلفة تتباين حسب تقسيم العمل والنشاط المستمر لكل شخص غير مؤثرة في المجتمع بقدر مماثل فتأثير بعضها في الحياة الاجتماعية أقوى من تأثير البعض الأخر، وذلك حسب نوع النشاط السائد في المجتمع الذي ترتبط به القيمة ويبدو في نظر(**دوركايم**)أن مصدر القيمة التي يدين بها الفرد والتي تتجسد في سلوكاته ترتد إلى المجتمع الذي يعيش فيه، بحيث يستمد الفرد أحكامه القيمية حول ما هو مرغوب فيه وغير مرغوب فيه اجتماعيا من

ثقافة المجتمع فالتغيرات التي تحدث في بناء المجتمع هي المسئولة عن تغيير القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية وذلك وفقا للحاجات والمطالب المتغيرة[20].

لكن يعاب على **(دوركايم)**أنه لم يكن مهتما بالتغير و صراع القيم، كذلك لم يبذل أي محاولة منظمة لتصنيف وتميز محتويات نسق القيمة أو العقل الجمعي، كذلك لم يذهب في تحليله إلى معرفة الدوافع المشكلة لالتزام بالقيمة والامتثال للمعايير، بالإضافة إلى ذلك لم يتناول المشاكل السيكولوجية[21].

ولعل هذه النقطة هي التي انطلقت منها المدرسة الألمانية وعلى رأسها **(ماكس فيبر)** الذي وضع أساس موضوعي للعلوم الاجتماعية، ونادى بالفصل بين العلم والوظيفة المعيارية وأوجد مفهوم اللياقة القيمية، وأن موضوعات العلم تتكون من خلال قيمنا[22]، **(ماكس فيبر)** الذي كانت نظريته السوسيولوجية تتجلى في أن السلوك الذي تفرضه القيم هو سلوك مصدر أصلا لتحقيق قيمة اجتماعية معينة بالذات، ذلك أنه حينما يسلك الفاعل الاجتماعي سلوك وفقا لقيمة ما وصنيعا لمثل أعلى إنما تفرض عليه هذه القيمة أن يوجه نمط سلوكه وفقا لها[23].

إن أصحاب هذا الاتجاه يعتبرون القيمة ظاهرة اجتماعية ذات تأثير تبادلي بينها وبين بقية الظواهر الاجتماعية الأخرى المتفاعلة ضمن إطار البناء الاجتماعي، وبالتالي فالقيم تعد أحد المتغيرات والمحددات الدافعة لسلوك الأفراد والموجهة للفعل الاجتماعي، وتبدو هذه القيم حاسمة وواضحة في تحديد الفعل أثناء مواقف الفاعلين، ومن ثم فالقيم ليست تصورات صماء بل تتكون نتيجة التفاعل بين الأفراد داخل المجتمع، كما أنها تتسم بالتغير النسبي نتيجة تطور المجتمع، ومما يلاحظ على هذا الاتجاه أنه كما نظر إلى القيمة على أساس أنها مطلقة فإنه لم يولي أهمية لصراع القيم، وهذا الاتجاه يضع القيم خارج الفرد بالرغم من أنه هو حامل هذه القيم وباعتباره أيضا طرفا في عملية التأثير والتأثر[24].

4) **رؤية نقدية للإسهامات السوسيولوجية في تفسير القيم** : إن المتأمل فيما قدمه أصحاب الاتجاه السوسيولوجي في تفسيرهم للقيم، سوف يدرك أن الدراسات السوسيولوجية التي قدمها هؤلاء حول تحليل القيم وتفسيرها، تنطوي على إسهامات ايجابية تثري الفكر السوسيولوجي في شرح وتفسير القيم من الناحيتين المعرفية والمنهجية، إلا أنه وبالرغم من كل ذلك، فقد كانت لهذه الدراسات عدة سلبيات ونقائص نوجزها في ما يلي:

1) اتفق علماء الاجتماع أن القيم موجهات للسلوك الإنساني، كما أن القيم تحدد الأهداف الإنسانية والوسائل المستخدمة في تحقيق هذه الأهداف الإنسانية .

2) أسهم السوسيولوجيون إيجابيا في الكشف عن أهمية تفسير القيم على مدى السياق الاجتماعي والتاريخي الذي توجد وتتشكل فيه

3) أكدوا على دراسة القيم والظواهر الأخلاقية دراسة علمية موضوعية وبهذا أضفى علماء الاجتماع على القيم الطابع العلمي .

وقد استطاع علماء الاجتماع أن يلفتوا النظر إلى حقيقة مفادها أن هناك تأثيرات تحدثها التحولات الاقتصادية والاجتماعية على النسق القيمي في المجتمع، حيث كشفت هذه النظريات على أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تلعب دورا مؤثرا على تغيير النسق العلمي وحديثه، حيث أن التنمية الاقتصادية هي بالضرورة تغيير في ظروف الأفراد في المجتمع وسوف تؤدي بالتدرج إلى تحول بعض القيم التي كانت تؤدي من جانب آخر إلى بروز قيم جديدة تستجيب للحاجات الجديدة وهذا ما يسمى بالتجديد القيمي[25].

والقيم تؤثر في النسق الاقتصادي وهذا التأثير قد يكون إيجابيا بمعنى أن القيم تعجل في التنمية الاقتصادية وتساعد في تحقيق النمو الاقتصادي بسرعة، وإما أن يكون تأثيرها سلبا بمعنى أن القيم قد تعوق النمو الاقتصادي وتؤخره .

4) لقد أصابت النظريات السوسيولوجية عندما أبرزت أن القيم ليست مطلقة الثبات بل هي قابلة للتغير والتطور، نتيجة التفاعل المستمر بين الفرد وبيئته من أناس وأشياء، وقد أصابت في الكشف عن الطبيعة الطبقية للقيم حيث أوضحت هذه النظريات أن القيم

الاجتماعية تختلف باختلاف الطبقات لأن لكل طبقة مفاهيمها القيمية التي تتفق عليها، وطبيعة مصاغها ومكانتها في المجتمع، ولما كانت المصالح الاجتماعية للطبقات متباينة ومتصارعة فإن القيم أيضا تتصارع وتتباين بتباين هذه المصالح[26] .

5) لقد أصابت النظريات السوسيولوجية عندما أبرزت الجانب المعرفي في تفسير القيم باعتبارها تصورات صريحة وضمنية، يتحدد من خلالها ما هو مرغوب فيه وما غير مرغوب فيه، كما تذهب هذه النظريات أيضا بصورة أدق إلى العلاقات القائمة بين الظواهر الاجتماعية وفهم العوامل والأسباب التي تنضوي عليها هذه القيم .

6) علماء الاجتماع بحثوا في مساهمة القيم في تشكيل السلوك وتحديده متعددين بذلك أكثر من رصده على مسرح الحياة الاجتماعية، وعليه فإن الرؤية التأويلية للظواهر الاجتماعية تعد مرحلة هامة من مراحل التطور المنهجي في علم الاجتماع[27].

7) اهتمت النظريات السوسيولوجية بالتخطيط الأخلاقي، الذي يستهدف تفسير وتوجيه الأخلاق لاستغلال الطاقات الروحية استغلالا رشيدا يمضي بالمجتمع قدما نحو التطور، لأن هذا التخطيط هو الموجه الحقيقي لبقية النشاطات التخطيطية الأخرى.

8) اخفق (**سبنسر**) في تشبيه القيم الأخلاقية بالظواهر السوسيولوجية، حيث أن طبيعة القيم الأخلاقية تختلف عن طبيعة الظاهرة السوسيولوجية، وأن طبيعة تطور القيم تكون موجها إراديا، أما صيغة تطور الظاهرة الطبيعية يكون تلقائيا .

9) على الرغم من أن النظرية الماركسية قد كشفت عن العديد من القيم الهامة كقيمة العمل وفائض القيمة، وأبرزت مدى تفاعل النسق القيمي مع النسق الاقتصادي، إلا أنها أهملت النسق القيمي في البناء التحتي للمجتمع ومع أنه يأعني النسق القيمي يأحد مكونات البناء الفوقي إلا أنه ينتشر على كل مستويات البناء الاجتماعي .

10) لقد أظهر (**تالكوت بارسونز**) دور القيم في بناء النظرية السوسيولوجية والفعل الاجتماعي، إلا أن رؤيته الفلسفية جعلته يفسر القيم تفسيرا معياريا ركز فيه على التكامل والاتساق والتجانس مع المعايير الاجتماعية[28].

5) خاتمة

ولعل المتفحص للتعريفات السابقة للقيم يلمس بوضوح خلوها من تقديم مفهوم عام وشامل لها، ولم تتفق على مفهوم معين للقيمة وإنها تستعمل ألفاظا ولم توضح الموقف الذي يجب أن تكون عليه القيم والعلاقة بينها وبين السلوك العقلي، إلى الحد الذي يجعل أي باحث في حيرة من أمره، ويجد الشك طريقا إليه .

وخلاصة القول أن القيم الاجتماعية موجودة في أفعال الأفراد كما هي موجودة أيضا في كل بنيان اجتماعي وأن الأنظمة الاجتماعية تعتمد في تشكيلها للقيم على هذه القيم الموجودة في البنيان الاجتماعي والتي تنتقل إلى كل بنيان اجتماعي والتي تنتقل إلى الأفراد عن طريق النفوذ، مما حدا ببعض علماء الاجتماع إلى إطلاق صناع القيم على هؤلاء الأفراد، واعتبارهم المحركين الأساسيين لمعرض التغير الاجتماعي[29].

6) قائمة المراجع

1) إيمان العربي النقيب ، القيم التربوية في مسرح الطفل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2002

2)حميد خروف وآخرون، الإشكالات النظرية والواقع ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ،1999.

3)طاهر محمد بوشلوش، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري،1967. 1999،بن مرابط للنشر والتوزيع، المحمدية ، الجزائر ، ط1 ، 2008.

4) سعاد جبر سعيد ، القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني ، عالم الكتاب الحديث ، الربد ، الأردن ، ودار الكتاب العالمي ، عمان الأردن 2008.

5) عادل غزال ، اثر القيم الاجتماعية على التنظيم الصناعي الجزائري ، رسالة ماجستير ، قسم علم الاجتماع ، قسنطينة ، الجزائر ، 2006 ، 2007.

6) كمال التابعي ، التأثيرات التبادلية بين القيم وبرامج التنمية الريفية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1982
7) محمد احمد بيومي ، القيم وموجهات السلوك ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2006 .
8) محمد إبراهيم كاضم ،التطوير القيمي وتنمية المجتمعات ، الجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية ، القاهرة عدد 9 جانفي 1971
9) نورهان منير، حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.

7) الهوامش

[1] عادل غزال ، اثر القيم الاجتماعية على التنظيم الصناعي الجزائري ، رسالة ماجستير ، قسم علم الاجتماع ، قسنطينة ، الجزائر ، 2006 ، 2007 ، ص 49.

[2] طاهر محمد بوشلوش، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري،1967. 1999،بن مرابط للنشر والتوزيع، المحمدية ، الجزائر ، ط1 ، 2008،ص 35 .

[3] عادل غزال ، مرجع سابق ، ص 49 .

[4] سعاد جبر سعيد ، القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني ، عالم الكتاب الحديث ، الربد ، الأردن ، ودار الكتاب العالمي ، عمان الأردن 2008 ، ص 16 .

[5] إيمان العربي النقيب ، القيم التربوية في مسرح الطفل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2002 ، ص ،ص 15 16.

[6] إيمان العربي النقيب ، مرجع سابق ، ص ص 20، 21 .

[7] نفس المرجع ، ص 22.

[8] عادل غزال ، اثر القيم الاجتماعية على التنظيم الصناعي الجزائري ، رسالة ماجستير ، قسم علم الاجتماع ، قسنطينة ، الجزائر ، 2006 ، 2007 ، ص 49.

[9] طاهر محمد بوشلوش، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري،1967. 1999،بن مرابط للنشر والتوزيع، المحمدية ، الجزائر ، ط1 ، 2008،ص 35 .

[10] عادل غزال ، مرجع سابق ، ص 49 .

[11] طاهر محمد بوشلوش ، مرجع سابق ، ص 35 .

[12] عادل غزال ، مرجع سابق ، ص 49.

[13] حميد خروف وآخرون، الإشكالات النظرية والواقع ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ،1999، ص 109.

[14] محمد احمد بيومي ، القيم وموجهات السلوك ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2006 ، ص 135 .

[15] إيمان العربي النقيب ، مرجع سابق ، ص 23 .

[16] حميد خروف وآخرون، ، مرجع سابق ، ص 109.

[17] نورهان منير، حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999 ،ط 1، ص 124.

[18] حميد خروف وآخرون ،مرجع سابق ، ص 133 .

[19] إيمان العربي النقيب ، مرجع سابق ، ص23 .

[20] حميد خروف وآخرون ، مرجع سابق ص 123.

[21] محمد احمد بيومي ، مرجع سابق ،ص 76.

[22] إيمان العربي النقيب ، مرجع سابق ،ص 23.

[23] حميد خروف وآخرون ، مرجع سابق ، ص 119.

[24] عادل غزال ، مرجع سابق ، ص 52.

[25] محمد إبراهيم كاضم ،التطوير القيمي وتنمية المجتمعات ، الجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية ، القاهرة عدد 9 جانفي 1971، ص 7.

[26] كمال التابعي ، التأثيرات التبادلية بين القيم وبرامج التنمية الريفية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1982 ،ص 229 .

[27] نفس المرجع ، ص80.

[28] كمال التابعي ، مرجع سابق ، ص 306.

[29] إيمان العربي النقيب ، مرجع سابق ، ص24 .